

٣٠
ملف المستقبل
روايات مصرية للجيب
النار الباردة
Looloo
dvd4arab



١ ــ عالِم يحترق ..

انطلق صوت الدكتور (حسن حسّان) ، عالم الطاقة الذرّيّة المصرى المعروف ، مجلجلًا وسط معمله فى هيئة الطاقة الذرّيّة المصرية ، وهو يصرخ غاضبًا فى وجه مساعده الدكتور (محمد العفيفى) :

ــ خطأ يا أستاذ ... خطأ .. حتى ولو كان الكمبيوتر فهو خطأ .

أجابه الدكتور (محمد العفيفى) ، فى هدوء مَن اعتاد ثورات أستاذه :

ــ لقد قضيت ليلتين كاملتين أدرس حسابات الكمبيوتر يا أستاذى و ....

قاطعه الدكتور (حسن) فى صوت هادر :

ــ ولو .. حتى لو كنت قضيت شهرًا كاملًا ، فلست أومن بما تقول .. لا بدّ لك أن تعيد حساباتك مرة أخرى .

تنهّد الدكتور (محمد العفيفى) ، وعاد يقول فى عناده الذى اشتهر به داخل هيئة الطاقة الذريّة :

ـــ حساباتى سليمة للغاية يا سيّدى .. إن مفاعل (الإسكندرية) الذرى على وشك الانفجار ، ما لم نسرع بتلافى الخطأ .

نظر الدكتور (حسن) إلى مساعده نظرة قاسية محتدّة ، حتى خُيّل للدكتور (محمد) أنه سيصفعه على وجهه صفعة قويّة ، ولكنّ ملامح الدكتور (حسن) لم تلبث أن لانت ، واكتست بالتفكير العميق والشُرود ، كدأبه كلما أعاد التفكير فى أمر ما ، وقال فى بطء ، وهو يضغط كل حرف من حروف كلماته :

ـــ حسنًا يا (عفيفى) .. سأعيد دراسة تقريرك .

ثم عاد يصرخ فى حِدّة :

ـــ والآن اغرب عن وجهى لأعمل فى هدوء .

ابتسم الدكتور (محمد العفيفى) ، وهو يستدير منصرفًا ، فقد كان يعلم مدى طيبة وعبقرية أستاذه ، ومدى

اهتمامه بالحقائق ، برغم حِدّته الطبيعية التى تثير غضب كل من يتعامل معه ..

ولم يكد الدكتور (محمد العفيفى) يغادر معمل أستاذه ، حتى التقى بزميله الدكتور (سمير صبحى) ، الذى استقبله ضاحكًا ، وهو يقول :

ـــ هل طردك العجوز مرة أخرى من معمله ؟

ضحك الدكتور (محمد) ، وهو يقول :

ـــ إنه عبقرى يا صديقى ، وللعباقرة شذوذهم .

استغرق الدكتور (سمير) فى الضحك ، قبل أن يقول :

ـــ ولكن العجوز ملىء بالشُذوذ .. إنه غاضب ثائر دائمًا ، حتى أننى أخشى أن يحرقه غضبه هذا ذات يوم .

ابتسم الدكتور (محمد) ، وهو يلوّح بكفّه قائلًا :

ـــ هذا إذا لم نحترق نحن أولًا .

وفجأة .. وصل إلى مسامعهما صوت الدكتور (حسن) ، يأتى هادرًا من خلف باب معمله المغلق ، وهو يصرخ فى غضب :

— ماذا يعنى هذا بحق السماء ؟

وأعقب ذلك صوت يشبه الفحيح ، ثم سكون مطبق ، ظل عالما الذرة يتبادلان نظرات الدهشة بعده عدة ثوان ، قبل أن يغمغم الدكتور (سمير) فى قلق :

— ماذا حدث ؟

استدار الدكتور (محمد) ، وأسرع الخطا نحو معمل أستاذه ، وهو يقول فى توتر :

— وهذا الصوت العجيب ؟.. ما هو يا تُرى ؟

لحق به الدكتور (سمير) وهو يفتح باب المعمل ، واندفع كلاهما إلى الداخل ، ثم توقفا فى مزيج من الدهشة والحَيْرة ، يتأملان المعمل الخالى ، وتمتم الدكتور (عفيفى) :

— أين الأستاذ ؟.. ماذا حدث فى المعمل ؟

أمسك الدكتور (سمير) ذراع زميله ، وهو يقول فى خوف خفى :

— هل تشمّ هذا ؟.. هناك ما يشبه رائحة الشّواء .

غمغم الدكتور (محمد) فى دهشة ، وهو يتقدّم إلى حيث كان يقف أُستاذه :

— شواء ؟!!.. هذا صحيح ، ولكن ....

وفجأة .. تسمَّر فى مكانه وهو يحدّق فى الأرض بذهول ، وقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتدلّت فكّه السفلى بشكل يشف عن الفزع والذهول .. أسرع إليه الدكتور (سمير) ، وهو يسأله فى ذعر :

— ماذا حدث ؟.. ماذا تُرى ؟

ثم تسمّر بدوره وهو يحدّق فى الشىء نفسه الذى ينظر إليه زميله .. فهناك حيث كان يقف الدكتور (حسن) ، استقر زوج من الأحذية .. نفس الحذاء الذى كان يرتديه الأُستاذ ، وبداخله جزء محترق من قدم بشرية ، وبقايا جورب أتت النيران على معظمه ، وحوْل الحذاء تناثرت بضع ذرّات من الرّماد فقط .. ولا شىء غير ذلك ..

غمغم الدكتور (حسن) ، وهو يتعلّق بذراع زميله فى رعب :



— يا إلهى !! لقد حدث ما كنا نتنذّر به منذ لحظات .. لقد احترق الرجل .. احترق حتى قدميه !!

* * *



٢ — رماد المـوت ..

انحنى الرائد (نور الدين محمود) ، يتأمّل الحذاء والجورب المحترقين فى دهشة ، والتقى حاجباه فوق أنفه ، وهو يعضّ شفته السفلى فى حَيْرة ، ويمدّ يده محاولاً لمس بقايا القدم المحترقة ، ولكنه لم يلبث أن أعاد يده إلى جانبه ، ونهض يتأمّل جوانب المعمل الذى شهد الحادث الغامض ..

كان المكان عبارة عن معمل أبحاث تقليدى يغصّ بالأجهزة الحديثة ، وشاشات الكمبيوتر المختلفة ، بالإضافة إلى لوح أسود ضخم ، يملأ جانب المعمل تقريبًا ، وفوقه بضعة معادلات متراصّة بشكل غير منتظم ، ومخطوطة بالطباشير الأبيض ..

وكان للمعمل بابان أحدهما يؤدّى إلى الممرّ الخارجىّ ، والآخر إلى غرفة جانبية ، اعتاد الدكتور (حسن) النوم فيها إذا ما استغرقه العمل ، أو انهمك فى دراسة معادلاته

المعقَّدة ، ولكل من الغرفتين نافذة زجاجية سميكة ، تطلّ على الحديقة الخارجية لمبنى هيئة الطاقة الذريّة .

التفت (نور) يتأمّل الشابّ الضخم الجثة ، العريض المنكبين ، البالغ الطول ، الذى يقف على مقربة منه ، وفوق وجهه الحليق ذى الملامح الواضحة الطيّبة ، ومنظاره الطبّى السميك ، وشعره غير المنسّق ، تبدو علامات حزن عميق صريح ، حتى أن (نور) وجد لهجته تميل إلى المواساة وهو يسأله :

ـــ هل اعتاد الدكتور (حسن) قضاء بعض لياليه هنا ؟

نظر إليه الدكتور (محمد العفيفى) فى حزن ، ومضت بضع ثوانٍ قبل أن يجيبه قائلاً :

ـــ بل قل معظم لياليه ، فلقد كان (رحمه الله) غير متزوّج ، وقد وهب حياته كلها لأبحاثه فى مجال الذرّة ، حتى أنه رفض يومًا الحصول على جائزة (حورس) للعلم ، أو جائزة (نوبل) .. لم يكن يؤمن بالجوائز فى العلم ، ولطالما قال إن الجائزة الوحيدة هى نجاح أبحاث العالم ، وتطبيقها فى الحياة العملية .

أشاح (نور) بوجهه ، وقال وهو يمطّ شفتيه :

ـــ لم يحن الوقت بعد للاعتراف بوفاة الدكتور (حسن) يا دكتور (محمد) .

نظر إليه الدكتور (محمد العفيفى) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ ماذا تعنى أيها الرائد ؟

هزّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

ـــ إن حذاءً لامعًا ، وجوربًا نصف محترق ، وبقايا قدم بشرية التهمتها النيران ، ليست دليلًا على وفاة رجل لامع ، مثل الدكتور (حسن حسّان) .

ظل الدكتور (محمد) ينظر إلى (نور) فى دهشة بعض الوقت ، ثم غمغم :

ـــ أتعشّم من كل قلبى أن تكون محقًّا أيها الرائد .

قال (نور) ، وهو يعود إلى انحنائه لفحص الحذاء والبقايا المحترقة :

ـــ سيتّضح كل شىء عما قريب يا دكتور (محمد) .

ثم أردف ، وهو يشير إلى الأرض والأجهزة القريبة :

ــ إن ما يثير دهشتى ، هو كيف يحترق رجل بأكمله ، دون أن يترك سوى بضع ذرّات من الرّماد ، وبقايا قدم محترقة ، وجورب وحذاء لامع ، على حين لا تصاب الأرض والأجهزة القريبة منه بأية آثار للاحتراق ، أو حتى لمسيس من النيران ؟

مطّ الدكتور (محمد) شفتيه بدوره ، وهو يقول :

ــ يلُوح لى أننى قرأت يومًا عمّا يشبه ذلك .

تفرّس (نور) ملامح الدكتور (محمد العفيفى) فى إمعان ، ثم قال :

ــ الأمر يحتاج إلى بعض المتخصّصين يا دكتور (محمد) .

سأله الدكتور (محمد) :

ــ أىّ متخصصين تعنى أيها الرائد ؟

قبل أن يجيبه (نور) ، دخل الدكتور (سمير صبحى) بجسده الضئيل النحيل ، ولحيته الضخمة الكثّة ، وعينيه الزرقاوين الواسعتين ، وشعره القصير الخفيف قائلًا :

ــ لقد وصل خبير الطبّ الشّرعى ، الدكتور (محمد حجازى) أيها الرائد .

تنهّد (نور) فى ارتياح ، وقال وهو ينظر إلى الدكتور (محمد العفيفى) :

ــ هذا هو من أعنى بالمتخصّصين يا دكتور (محمد) .. سترى كم سيختلف الأمر ، بعد أن يُدلِىَ الدكتور (حجازى) برأيه .

* * *

فحص الدكتور (محمد حجازى) البقايا فى عناية ، دون أن يرفعها من مكانها ، ثم غمغم فى اهتمام :

ــ يا إلهى !! إنه ذلك الاحتراق الذّاتى اللّعين .

غمغم (نور) فى دهشة :

ــ الاحتراق الذاتى ؟!!!

قال الدكتور (حجازى) ، وهو يُولى البقايا المحترقة اهتمامه :

ــ نعم يا بنىّ .. (النار الباردة) التى استغلق سرُّها على العلماء والأطباء منذ عشرات السنين .

عاد (نور) يغمغم ، وقد تصاعدت دهشته :

ــ نار باردة ؟!.. ماذا تقصد بهذا القول يا سيِّدى ؟

صمت الدكتور (حجازى) بعض الوقت ، وهو يتأمَّل الدهشة الواضحة على وجه (نور) ، ثم قال :

ــ النار الباردة مجرَّد مصطلح ، يطلقه الأطباء والعلماء على حوادث الاحتراق الذاتى هذه يا (نور) ، فقد واجه هذا اللُّغز علماء العالم منذ زمن طويل ، حيث وجدت حالات عديدة ، احترق أصحابها تمامًا ، دون أن يتركوا سوى بقايا محترقة ، وقليل من ذرَّات الرَّماد ، ودون أن تصاب الأجزاء المحيطة بهم بأدنى سوء ، بل إن هناك حالة سجلتها مراجع الطبِّ الشَّرعى منذ عام ألف وتسعمائة وستة وخمسين ، احترقت فيها سيِّدة عجوز حتى أسفل ركبتيها ببضعة سنتيمترات ، وهى تجلس فوق مقعد خشبىّ ، دون أن يصاب المقعد نفسه بخدش واحد ، أو تبدو عليه حتى آثار النيران ، ودون أن يبقى مما احترق منها سوى بضع ذرَّات من الرَّماد ، ولدىَّ عدَّة صور التقطها مصورو الشُّرطة إبَّان الحادث .

قال (نور) ، دون أن تتبدَّد دهشته :

ــ ولكنَّ هذا عجيب للغاية يا سيِّدى .

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ــ ولكنَّه حقيقى للأسف يا بنىَّ .

اختفت دهشة (نور) فجأة ، وحلَّ محلَّها ذلك العناد الذى اشتهر به ، وهو يقول :

ــ ربَّما يتعلَّق الأمر بأشعة اللِّيزر أو ....

قاطعه الدكتور (حجازى) ، قائلًا :

ــ لقد بدأ تسجيل حالات ضحايا (النار الباردة) قبل كشف اللِّيزر بسنوات عديدة يا (نور) .

ظهرت الحَيْرة على وجه (نور) لحظات ، ثم استدار يسير فى أرجاء المعمل ، حتى وصل إلى النافذة الكبيرة ، فتطلَّع من خلالها إلى حديقة الهيئة الخلفية ، وإلى العمارة الضخمة الملاصقة لها ، وهو يفكِّر فى شىء ما ، ثم التفت إلى الدكتور (محمد العفيفى) ، وسأله فى اهتمام :

ــ أمفتوحة كانت هذه النافذة أم مغلقة ، حينما كنت تتحدَّث إلى الدكتور (حسن) ، قبيل وفاته يا دكتور (محمد) ؟

نظر إليه الدكتور (محمد) فى دهشة ، وكأنما بدا له هذا السؤال غبيًا وسط الأحداث ، ولكنه لم يلبث أن أجاب فى استخفاف واضح :

— لست أذكر هذا أيها الرائد .. إننى لم أنتبه إلى كون النافذة ....

قاطعه (نور) فى لهجة بدت محتدَّة ، وهو يقول :

— حاول أن تتذكَّر يا دكتور (محمد) .. تهمُّنى إجابة هذا السؤال جدًا .

قلَّب الدكتور (محمد) كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

— لست أذكر فى الواقع ..

بدا الغضب على وجه (نور) ، ولكن الدكتور (سمير) أسرع يقول :

— كانت مفتوحة أيها الرائد .

التفت إليه (نور) بحركة حادَّة ، قائلًا :

— كيف عرفت يا سيِّدى ؟

ارتبك الدكتور (سمير) لحظة ، ثم استعاد ثباته وهو يقول :

— إننا فى شهر أغسطس أيها الرائد ، ومعمل الدكتور (حسن) فى الناحية الجنوبية من الهيئة ، وهو يكره استخدام أجهزة التكييف ؛ لما تصنعه من ضوضاء ، ويفضِّل فتح النافذة عن آخرها .. إنها عادته منذ سنوات أيها الرائد .

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتى (نور) ، وهو يسأل :

— عجبًا !! رجل يكره الضوضاء ، ثم يفتح نافذة معمله عن آخرها ، برغم أنه يعمل فى الدور الأرضى ؟ .. ألن تكون مصدرًا للضوضاء فى حدِّ ذاتها ؟

قال الدكتور (حسن) فى برود :

— كلَّا بالطبع .

سأله (نور) فى حدَّة :

— ولِمَ لا ؟

ابتسم الدكتور (سمير) ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

— باختصار .. لأن المعمل يبعد مائة متر تقريبًا عن أقرب طريق مطروق ، فهو يطلّ على الحديقة الخلفية فى

منتصف الهيئة تمامًا ، والجزء المحاط بالحديقة يفصلها تقريبًا عن باقى المبنى ، ولا يرتادها سوى البستانىّ مدة ساعة واحدة يوميًا ، تنتهى قبل استيقاظ أو قدوم الدكتور (حسن) ، ثم إن الحديقة نفسها تنتهى بجانب المبنى ، الذى تراه من النافذة ، وهو كما ترى خالٍ من النوافذ فى هذه الناحية بالذات .

قطَّب (نور) حاجبه ، وهو ينصت إلى الدكتور (سمير) فى اهتمام ، حتى انتهى من حديثه ، ثم غمغم فى شرود :

ــ هذا يعنى أن الحديقة تعتبر معزولة تقريبًا عن باقى المكان .

ثم التفت إلى الدكتور (محمد العفيفى) ، وسأله :

ــ من يعمل أيضًا فى هذا الطابق ، بالإضافة إليك وإلى الدكتور (سمير) ؟

مطَّ الدكتور (محمد) شفتيه ، وهو يقول :

ــ (إبراهيم سرحان) و (نادر فهيم) فقط .. إنهما فنّيّان من فنّيّى الهيئة ، يقومان بإعداد الأجهزة للعمل .

استدار (نور) نحو الدكتور (حجازى) ، وسأله فى حماس :

ــ هل يمكنك دراسة البقايا المحترقة هنا ، وإعطائى تقريرًا سريعًا ، حتى يصل فريقى يا سيِّدى ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

ــ بالطبع ، إذا ما توافرت بعض الأدوات ، وميكروسكوب إليكترونى أو أيونى .

قال الدكتور (محمد) ، وقد انتقل إليه حماس (نور) :

ــ ستجد كل ما تريد فى قسم دراسة آثار الإشعاع على الحيوانات يا سيِّدى .

ابتسم الدكتور (حجازى) ، وقال :

ــ فى هذه الحالة يمكننى إعطاؤك التقرير ، فى زمن لا يتجاوز الساعتين يا (نور) .

صاح (نور) فى حماس :

ــ هذا رائع .. سأطلب عدم السماح بمغادرة المنطقة ، حتى بالنسبة لسكانها ، طوال هاتين الساعتين .

نظر إليه الجميع فى دهشة ، على حين سأله الدكتور (حجازى) :

ـــ ماذا تحاول أن تثبت يا (نور) ؟

أجابه وهو يضغط أزرار (التليفيديو) ، فى سرعة وحماس :

ـــ أحاول إثبات أن الدكتور (حسن حسّان) لم يحترق ، بل اختطف ياسيّدى .





٣ ـــ نهاية عالم ذرّة ..

هزّ الطبيب النفسى (رمزى) رأسه ، وقال فى لهجة توحى بالشك :

ـــ اختطاف ؟!.. هذا يبدو لى عجيبًا أيها القائد . خاصّة وأننى قرأت كثيرًا عن (النار الباردة) ، والاحتراق الذاتى هذا ، وأميل إلى الاقتناع بالنظرية التى تنسب ذلك للعصبية المفرطة ، أو تعاطى الكحوليات بإسراف .

قال (نور) فى عصبية :

ـــ مادام الجميع يعلمون ذلك ، فمن الطبيعى أن يستغلّه المختطفون أيضًا ، لتغطية فعلتهم .

تردّدت (سلوى) لحظة قبل أن تقول :

ـــ هذا يتوقّف على وجود ما يدلّ على ذلك يا (نور) .

أشاح (نور) بيده ، قائلًا :

ـــ إذا كنت تقصدين الدليل المادّىّ ، فهو منعدم تقريبًا

يا عزيزى ، ولكن برأسى تصوُّر معين للاختطاف ، وإن لم تكتمل أركانه بعد .

سأله (محمود) فى فضول :

— ما تصوُّرك بالضبط أيها القائد ؟

هزَّ نور كتفيه ، وقال :

— ليس بعدُ يا (محمود) .. سأخبركم بتصوُّراتى كاملة ، بعد أن ينتهى الدكتور (حجازى) من فحص البقايا ، وبعد أن أستجوب الفتيَيْن (إبراهيم) و (نادر) .

وفى نفس اللحظة ، سمع الجميع صوت دقات هادئة على باب المعمل ، انزاح بعده الباب المتحرِّك . ورأوا شابًا طويل القامة ، ضيِّق الكتفين ، حليق الوجه ، له شعر قصير أسود ، ونظرات فاحصة قوية ، تطلّ من عينيه الضيقتين السوداوين أسفل حاجبين كثيفين .. تقدَّم منهم الشاب ، وتفحَّصهم جميعًا فى سرعة ، قبل أن يضم كفيْه أمام جسده ، قائلًا فى هدوء :

— سمعت أنكم تريدون استجوابى أيها السادة .. اسمى (إبراهيم سرحان) .

تفحَّصه (نور) بدوره ، قبل أن يسأله فى برود :

— ما رأيك فيما حدث يا (إبراهيم) ؟

ارتسمت ابتسامة صفراوية خبيثة ساخرة على شفتى (إبراهيم) ، وهو يقول :

— هل تهوى توجيه أسئلتك بهذه السرعة أيها الرائد ؟

جاوبه (نور) بابتسامة أكثر خبثًا وسخرية ، وهو يقول :

— نعم .. حينما لا يكون لدىَّ ما يكفى من الوقت للمجاملات السخيفة .

اتسعت عينا (إبراهيم) وكأنَّ إجابة (نور) قد صدمته ، ثم لم يلبث أن عاد إلى ابتسامته العجيبة وهو يقول :

— لِمَ لا نتعامل بوضوح أكثر ، فتسألنى عمَّا كنت أفعله وقت الحادث ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

— ولِمَ لا ؟.. إننى أنتظر جوابًا للسؤال الذى وجَّهته لنفسك .

مطَّ (إبراهيم) شفتيه ، وقال فى هدوء :

— حسنًا أيها الرائد .. لقد كنت أُعِدُّ بعض الأجهزة ،

للعمل فى معمل الدكتور (محمد العفيفى)، حينما علمت بأمر احتراق الدكتور (حسن) ذاتيًّا .

سأله (نور) فى هدوء، وكأنما الأمر لا يعنيه كثيرًا :

ــ وهل لديك دليل على ذلك ؟

قال (إبراهيم) فى سخرية :

ــ يمكنك سؤال أجهزة المعمل نفسه، فلم يكن هناك سواى .

ساد الصمت التام بعد عبارة (إبراهيم) الساخرة، وأخذ يتبادل مع (نور) نظرات أبرد من ثلوج القطب الشمالىّ، قبل أن يقول هذا الأخير :

ــ حسنًا يا سيِّد (إبراهيم) .. سأكتفى منك بهذا الحديث .

ودون أن ينطق بكلمة واحدة، استدار (إبراهيم سرحان)، وغادر الغرفة فى هدوء، ولم يكد يغلق الباب خلفه، حتى تنهَّدت (سلوى) بصوت مسموع، وهى تقول فى ضيق :

ــ ما أبغضه من رجل !!

قال (رمزى)، وهو يميل برأسه جانبًا :

ــ إنه من ذلك النوع الذى يجمع بين عقدتى العظمة والشعور بالاضطهاد، فهو يشعر بمهارته فى أداء عمله، ولكنه فى الوقت نفسه يعتقد أنه لا يتبوأ المكان المناسب لخبرته وقدراته، ومثل هذا النوع يواجه الاستجوابات بنوع من التحدِّى والغطرسة .

غمغم (نور)، وهو يفكر فى عمق :

ــ ويمكنه أيضًا قتل رجل، لمجرَّد أنه ثار فى وجهه، أو نعته بلفظ يكرهه ؟

هزَّ (رمزى) كتفيه، وقال :

ــ هذا جائز، ولكنه غير محتَّم، فقد ينظر إلى الأمر بتعالٍ .

سأل (محمود) :

ــ وماذا عن قرار منع السُّكَّان من مغادرة المنطقة .. لقد أثار الحنق والغضب فى نفوس الجميع .

صمت (نور) بضع لحظات، ثم قال :

— إنها مجرد ساعات ثلاث يا (محمود) .. هذا كل ما نجحت فى الحصول عليه من المسئولين ، ولم يكن ذلك سهلاً على الإطلاق .

رفع (رمزى) حاجبيه ، وقال :

— هذا يحتم التوصل إلى الأمر قبل مضى الساعات الثلاث ، ولا أظن ذلك سهلاً أيها القائد .

نظر (نور) فى ساعته ، وقال فى هدوء :

— لقد مضت نصف ساعة منذ تطبيق الأمر ، وبدء الدكتور (حجازى) فحصه للبقايا ، ولقد وعدنى بإعطائى التقرير النهائى بعد ساعتين ، وحينما أحصل عليه ستكون أمامى ساعة كاملة للتفكير ، والتوصل إلى الحل ..

ثم صمت لحظة ، وأردف فى ضيق :

— أو الاستسلام .

* * *

استغرق الدكتور (محمد حجازى) بكل حواسه فى متابعة الشكل المعقد ، الذى بدا أمامه فوق شاشة

الميكروسكوب الأيونى ، وازدادت حدقتاه ضيقًا ، حتى بدا وكأنه قد استغرق فى النوم ، واعتمد بذقنه على إبهام يده اليسرى ، وهو يغمغم فى صوت شديد الخفوت :

— عجبًا !! هذا الذى أراه يثير الاهتمام بشكل بالغ .. كيف يمكن أن يقع إنسان فى خطأ تافه إلى هذا الحد ..

ثم انحنى وخلع منظاره الطبى ، وهو يتأمل الشاشة عن قرب ، وعاد يغمغم فى دهشة :

— يا إلهى !! إن (نور) هذا عبقرى ..

وتناول قلمًا قريبًا ، وأسرع يخط بضع كلمات فوق ورقة نصف ممزقة ، بطريقة تدل على الانفعال الشديد ، ثم عاد يتأمل الشاشة مغمغمًا :

— ستذهله هذه الحقيقة .. لقد كان الفتى على حق .

وعاد يتابع ما يدونه فى انهماك وحماس ، حتى أنه لم يشعر بالرجل الذى تسلل إلى غرفة الفحص فى صمت ، واقترب منه بخفة قط ، وحينما اعتدل الدكتور (حجازى) فى مقعده ليتابع فحصه للشاشة ، لمح ظل الرجل يقترب ،

فاستدار فى حِدّة محاولاً كشف شخصية المتسلّل ، ولكنه تلقّى ضربة قويّة على مؤخرة عنقه ، دارت الغرفة بعدها أمام ناظريه ، واستبدّ بها الظلام ، قبل أن يفقد وعيه تمامًا ..

مدّ المعتدى المجهول يده إلى الورقة التى خطّ فوقها الدكتور (حجازى) ملاحظاته ، فرفعها وأخذ يقرؤها فى هدوء ، ثم لم يلبث أن ابتسم فى شراسة ، ونظر إلى جسد الدكتور (حجازى) الممدّد فوق الأرض ، وهو يقول فى سخرية :

ـــ أكنت تنوى تقديم هذا التقرير للشُرطى أيها المأفون . يالك من أبله !!

وفى هدوء شديد أخرج قدّاحته ، وأشعل النار فى الورقة حتى التهمتها ، ثم ألقاها أرضًا ، وسحق بقايا رمادها بحذائه ، وعاد يلتفت إلى الدكتور (حجازى) ، قائلاً فى سخرية :

ـــ معذرة ياخبير الطِّب الشّرعى .. الأمور تضطرنا إلى إخفاء معالم الأمر تمامًا .

* * *



ولكنه تلقى ضربة قوية على مؤخرة عنقه ، دارت الغرفة بعدها أمام ناظريه ..

تأمّل (نور) الفتىَ (نادر فهيم) فى هدوء .. كان شابًا متوسط الطول ، له شارب ضخم يغطى معظم وجهه النحيل ، وإن بدا قوامه ممشوقًا قويًا بسبب تناسق أعضائه ، ورياضته الواضحة فى وجنتيه القويتين ، وجبهته العريضة ، وكان شعره الناعم الطويل ، وعيناه الواسعتان يُضْفِيَان عليه مظهرًا وسيمًا ، وهو يقول فى هدوء :

ــ تسألنى أين كنت أيها الرائد ؟.. ألحظة الحادث تعنى ، أم الآن ؟

قال (نور) فى هدوء مماثل :

ــ أعْنى كليهما يا (نادر) ، فلقد بحثنا عنك طويلًا لنستجوبك عمّا حدث إبّان الواقعة ، فلم نجدك ، ثم تظهر فجأة ، فأين كنت ؟ ابتسم (نادر) قائلًا فى هدوء :

ــ كنت أؤدى عملًا هامًّا أيها الرائد .

سأله (نور) :

ــ وما هو بالضبط هذا العمل؟

صمت (نادر) لحظة ، ثم قال :

ــ كنت أنسّق مكتب الدكتور (حسن) الخاصّ و ..

قاطعه (رمزى) قائلًا :

ــ إما أنك صاحب أقوى أعصاب عرفتها فى حياتى ، أو أن الأمر لايعنيك كثيرًا ياسيّد (نادر) .. إذ كيف تنهمك فى تنسيق مكتب رجل ، لم تمض على احتراقه ساعتان ؟

صمت (نادر) بعض الوقت ، ثم قال :

ــ هناك أمور يفعلها المرء بحكم العادة ياسيّدى .

سأله (نور) فى حدّة :

ــ حتى ولو اختلفت العادة بحادث غامض يا (نادر) ؟

نظر إليه (نادر) فى برود ، وقال :

ــ ربّما كنت أجد فى ذلك بعض المواساة أيها الرائد .

قال (نور) بابتسامة غامضة :

ــ أو بعض الفائدة ياسيّد (نادر) .

احتقن وجه (نادر) ، وهو يقول فى حدّة :

ــ ماذا تعنى أيها الرائد ؟

قبل أن يجيبه (نور) ، اندفع الدكتور (سمير) إلى الغرفة ، وهو يقول فى قلق :

ـ ما نوع الفحوص التى يجريها طبيبكم الشرعى يا سادة ؟

التفت إليه الجميع فى مزيج من الدهشة والقلق ، على حين سأله (نور) :

ـ ماذا تعنى بسؤالك هذا يا دكتور (سمير) ؟

ازدرد الرجل ريقه ، وقال فى توتُّر :

ـ هل يقوم بحرق بقايا القدم ؟

نظر إليه الجميع فى دهشة ، وقال (نور) :

ـ إنه لا يفعل ذلك بالتأكيد ، ولكن ماذا تعنى بسؤالك هذا ؟

ارتجف جسد الدكتور (سمير) ، وهو يقول :

ـ إنه لا يجيب على طرقاتى ، ثم إنَّ هناك .. هناك ..

وظهر بعض التوتُّر على وجهه ، مما دفع (نور) لسؤاله فى عصبيّة :

ـ ماذا هناك يا دكتور (سمير) ؟ تكلم ..

قال الدكتور (سمير) فى صوت خافت ، تلُوح فيه علامات الخوف :

ـ هناك رائحة شواء تتصاعد من غرفة الفحص ، وكأنما احترق طبيبكم الشرعى بدوره أيها السادة !!

* * *



٤ ـــ القتلة ..

قبل أن يُتِمّ الدكتور (سمير) عبارته ، كان (نور) قد استلَّ مسدسه اللّيزرىّ ، واندفع مغادرًا الغرفة ، وهو يتمتم فى ذُعر :

ـــ لا .. ليس هذا الرجـــل .. ليس الدكتـــور (حجازى) .

أسرع أفراد فريقه يحاولون اللّحاق به ، وهو يصعد فى درجات مبنى الهيئة قفزًا ، حتى وصل إلى الطابق الثانى ، حيث غرفة الفحص ، وأخذ يدقُّ بابها فى عصبية ، هاتفًا باسم الدكتور (حجازى) .. ولما لم يتلقَّ جوابًا ، صوَّب مسدسه اللّيزرىّ إلى الرّتاج الإليكترونى ، وأطلق دفعة من أشعّته دون تردُّد أذابت الرّتاج ،فانزلق البـاب من تلقاء نفسه مفتوحًا ...

هتـف (نور) من أعمـــاق قلبـــه باسم الدكتـــور

(حجازى) ، ثم اندفع وسط سحابة من دخان كثيف ، تحمل رائحة الشواء إلى الداخل ، وانحنى فوق جسد الدكتور (حجازى) يفحصه بسرعة ثم لم يلبث أن هتف فى جزع :

ـــ ربّاه !! لقد قطع أحدهم أوردة معصمه .. لقد نزف كثيرًا من دمائه .

أسرع (رمزى) يحاول إيقاف النزيف ، على حين ألقى (نور) نظرة سريعة على المكان وهو يهتف :

ـــ ولكن .. رائحة الشّواء !! إنها ..

قاطعه الدكتور (سمير) ، وهو يشير إلى حيث توضع العيّنات المراد فحصها بالميكروسكوب الأيونى ، صائحًا :

ـــ يا إلٰهى !! إنها البقايا المحترقة .. لقد أتت عليها النيران .

نظر الجميع إلى حيث أشار الدكتور (سمير) ، على حين قال (نور) ، وهو يحرّك بقايا الورقة المحترقة بطرف حذائه :

ـــ يبدو أن هذا ليس الشىء المحترق الوحيد فى هذه الغرفة يا دكتور (سمير) .

وعاد يتأمل الدكتور (حجازى) الفاقد الوعى، و (رمزى) الذى يحاول إسعافه فى اهتمام، ثم أردف فى غضب مكتوم :

ـــ ولكن هؤلاء القتلة قد أخطئوا، واضطرُّوا للكشف عن أنيابهم .

* * *

تنهَّد (رمزى) وهو يلقى بجسده المنهك فوق مقعد وثير، قائلاً :

ـــ أظن أن خبيرنا الشرعى سينجو.. لقد فقد الكثير من دمه، لكن بِنيته قوية، ولقد أعطيته ما يساعد جسده على المقاومة .

نظر إليه عالما الذرَّة والفنيَّان و (سلوى) و (محمود) فى أسف، على حين قال (نور) فى هدوء :

ـــ هذا من حسن حظ القتلة، المختطفين، فلو كانوا قد أصابوا الدكتور (حجازى) بضرر بالغ، لجعلتهم يتمنَّوْن الموت حين أضع يدى عليهم .

نظر إليه الجميع فى دهشة، وغمغم الدكتور (محمد العفيفى) :

ـــ أما زلت تصرُّ على وجود قتلة ومختطفين أيها الرائد ؟

قال (نور) فى هدوء، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

ـــ كل الإصرار يادكتور (محمد) .

قال (إبراهيم) فى لهجة تحمل بعض السخرية :

ـــ برغم اقتناع الجميع بأمر الاحتراق الذَّاتى و (النار الباردة) ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (نور)، وهو يقول :

ـــ ربَّما تفسِّر نظرية (النار الباردة) اختفاء الدكتور (حسن)، ووجود بقاياه المحترقة ياسيِّد (إبراهيم)، ولكن كيف يمكننا تفسير احتراق البقايا والورق، وقطع أوردة معصم الدكتور (حجازى) .

التقى حاجبا (إبراهيم) فى رفض، على حين تبادل الجميع نظرات التساؤل، وتابع (نور) فى هدوء :

— إن للدكتور (محمد حجازى) — كشأن معظم العلماء — عادات ربما تبدو غير طبيعية أو مألوفة بالنسبة لهذا العصر ، ولكنها ترتبط بصاحبها ، حتى تصبح جزءًا منه ومن شخصيته ، ومن هذه العادات أنه حينما ينهمك فى فحص جثة ، أو بقايا تمثل أهمية بالغة بالنسبة لقضية ما ، فإنه ينسى ما حوله تمامًا ، ويرفض الاستعانة بالتسجيل الصوتى أو الكمبيوتر فى أثناء تسجيل ملاحظاته ، يصر على كتابتها فوق أية ورقة يجدها إلى جواره ، وأحيانًا على سطح المائدة ، التى يفحص فوقها الأشياء .

قاطعه (نادر) ، قائلًا فى ضجر :

— هل سنستمع إلى قصة حياة خبيركم الشرعى هذا ؟

ابتسم (نور) وهو يتأمل ملامحه فى صمت ، ثم أشاح بوجهه مستطردًا :

— باختصار .. يمكننى أن أتخيل ما حدث داخل غرفة الفحص .. سأقول إن الدكتور (حجازى) كان منهمكًا فى تدوين بعض الملاحظات الهامة والخطيرة ، التى وجدها فى

البقايا التى يفحصها ، حينما تسلل شخص ما إلى الغرفة ، وباغته بضربة فنية لا تترك أثرًا ، ولكنها تفقد الإنسان وعيه .. وقرأ هذا الشخص ما كتبه الدكتور (حجازى) ، ثم أحرق الورقة ، وسحق رمادها بقدمه ، وقطع أوردة معصم الدكتور (حجازى) ، ثم أشعل النار فى البقايا ليقضى عليها نهائيًا .

كان (نور) يتحدث وهو ينظر إلى الحاضرين ، محاولًا فهم انطباعاتهم ، ولكن الدهشة ملأت وجوههم جميعًا ، حتى انتهى من حديثه ، فقال (نادر) :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا يفعل هذا شخص ما ؟

قال (نور) فى اهتمام :

— لأن الدكتور (حجازى) كشف شيئًا خطيرًا يتعلق بالبقايا .. شيئًا يقلب الأمور رأسًا على عقب .

سألته (سلوى) فى فضول :

— شىء ، مثل ماذا ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

— شىء مثل عدم انتماء البقايا للدكتور (حسن) .

صاح الدكتور (محمد العفيفى) فى دهشة :
ــ ماذا يعنى هذا ؟
قال (نور) فى استرسال عجيب :
ــ يعنى أنَّ هناك خُطةً وضعت بذكاء ومهارة، لاختطاف الدكتور (حسن حسّان)، من قِبل بعض الجهات التى تتعمَّد حرماننا من تقدُّمنا العلمى باستمرار .. استمعوا إلىَّ جيِّدًا أيها السادة .. إن المنطقة التى تطلُّ عليها نافذة معمل الدكتور (حسن) حديقة معزولة تمامًا، فلو تسلَّل إليها رجل وهاجم الدكتور (حسن) فجأة، وتمكَّن من إفقاده وعيه، فسيتمكَّن من تهريبه عبر الحديقة، إلى أىّ مبنى مجاور .
سأله (رمزى)، فى اهتمام من يثق بقائده :
ــ وكيف ينجح فى ذلك يا (نور) ؟
ابتسم (نور) وقال :
ــ بل سأخبركم كيف نجح بالفعل فى ذلك، مستغلًا إجراءات الأمن المعروفة .. لقد تحدَّث الدكتور (حسن) مع مساعده الدكتور (محمد) فى ثورة، ثم أمره فى النهاية أن

يغادر المعمل، ويتركه يعمل فى هدوء، وبعد انصراف الدكتور (محمد)، تسلَّل المعتدى إلى المعمل من خلال النافذة، ورشَّ بعض الروائح الكيميائية الصناعية التى تشبه رائحة الشواء، فتنبَّه الدكتور (حسن) إلى وجوده، وصاح بالعبارة التى سمعها الدكتور (محمد) والدكتور (سمير) قائلًا : «ماذا يعنى بحقّ السماء ؟» .. وفى تلك اللحظة ناوله المعتدى لكمة أفقدته الوعى، ووضع البقايا المحترقة فى مكانه، وحمله إلى غرفته الملحقة بالمعمل، وأغلقها خلفه تمامًا .. وحينما دخل الدكتور (محمد) والدكتور (سمير) ورأيا تلك البقايا المحترقة، وتصوَّرا احتراق رئيسهما، كان من الطبيعى أن يغادرا المعمل، ويغلقا بابه خلفهما، حتى يحضر رجال الأمن والشُّرطة .. وهنا تسلَّل المعتدى بضحيَّته من خلال النافذة الأخرى إلى الحديقة، وأسرع بتسليم الدكتور (حسن) الفاقد الوعى إلى أعوانه، الذين أخفوه فى مهارة قبل أن تبدأ إجراءات الأمن، استعدادًا لتهريبه إلى خارج البلاد، على حين عاد المعتدى إلى داخل الهيئة ليؤدى

عمله كالمعتاد متظاهرًا بالبراءة ، وهو يتصوَّر نجاح مهمته .. ولكنه حينما فوجئ بوجود الدكتور (حجازى) وبفحصه السريع للبقايا ، خشى افتضاح الأمر ، فأسرع يتخلَّص من البقايا ، ومن السِّجلّ الذى دوَّنه الدكتور (حجازى) ، ومن الدكتور (حجازى) نفسه أيضًا .

قال (إبراهيم) فى حِدَّة :

ـــ هل تفهم ماذا يعنى تحليلك هذا أيها الرائد ؟

ابتسم (نور) فى غموض ، وهو يقول فى برود :

ـــ نعم يا سيِّد (إبراهيم) .. إنه يعنى ببساطة أن الخائن وعميل القتلة هو أحد العاملين بهذا الطابق .. إنه أحدكم أيها السادة !!

* * *

٥ ـــ العميل السِّرِّى ..

انفجر اتهام (نور) وسط الحاضرين بدوىٍّ صامت ، بدا فوق الوجوه دون أن يغادر الصدور ، إلى أن صاح الدكتور (سمير) :

ـــ إنه اتهام عنيف أيها الرائد ، وأنت لا تمتلك دليلًا واحدًا يؤيِّد ما تقول .

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول فى بساطة :

ـــ ربَّما أن الدليل المادى الوحيد قد احترق ، ولكن هذا لا يعنى عدم قدرتى على الإيقاع بالمختطفين القتلة ، فما زالت أمامى ساعة كاملة .

قال (إبراهيم) ، وهو يمطُّ شفتيه فى استهتار :

ـــ يمكنك أن تحاول على الأقل أيها الرائد .

على حين صاح (نادر) فى غضب :

ـــ لقد اتهمتنا جميعًا أيها الرائد ، وسنقاضيك من أجل ذلك .

لوّح (نور) بكفّه علامة اللامبالاة، وهو يقول :

ــ المهم أن نجد الدكتور (حسن)، ولتفعل ما تشاء بعد ذلك ياسيِّد (نادر).

صاحت (سلوى) فى دهشة :

ــ ولكنك تفتقد الدليل هذه المرَّة يا (نور).. إنك لا تعلم حتى لماذا يختطفون الدكتور (حسن).

وفجأة.. ضرب الدكتور (محمد العفيفى) جبهته بكفّه، صائحًا :

ــ يا إلٰهى !! المعادلات ؟!.. لقد نسيت أمر مفاعل (الإسكندرية) تمامًا.

سأله (نور) فى حدَّة :

ــ ماذا تعنى يا دكتور (محمد) ؟

صاح الدكتور (محمد) فى جزع :

ــ كيف لَمْ أنتبه إلى ذلك فى حينه ؟.. لقد أنسانى الحادث أمر مفاعل (الإسكندرية) النووى.. إن هذا المفاعل سينفجر، ما لَمْ أجد المعادلات التى سلَّمتها إلى الدكتور (حسن).

ساد الصمت المشوب بالذُّعر، إلى أن قطعه (نور) قائلًا فى هدوء :

ــ قُصَّ علىَّ أمر هذه المعادلات يا دكتور (محمد).

انهار الدكتور (محمد العفيفى) فوق مقعد قريب، وهو يقول :

ــ فى كل المفاعلات النوويَّة يوجد ما يسمَّى بنظام التبريد المستمرّ، وهو يعتمد على وجود رشّاش من الماء البارد، للمحافظة على درجة حرارة سطح المفاعل باستمرار، وهذا الماء يتبخَّر فور ملامسته السطح، نظرًا لحرارته الشديدة، ويتم تسريب هذا البخار باستمرار، وبمعدلات ثابتة، حتى لا يؤدى تجمُّعه إلى انفجار المفاعل.. وفى مفاعل (الإسكندرية) حدث خطأ فى التسرب البخارىّ، ممَّا أدَّى إلى تجمُّع بعض الغازات أو نواتجها باستمرار، وسيتعرَّض هذا المفاعل للانفجار فوق تجمُّع ما يزيد على طاقته من الأبخرة، والغازات.

أمسك (نور) كتفيه يهزّه بقوة، صائحًا :

ــ وكيف يمكن منع ذلك ؟

قال فى لهجة متخاذلة :

ــ بالعثور على المعادلات التى سجلتها على أسطوانة الكمبيوتر .. إنها الطريقة الوحيدة لإنهاء الموقف ، دون تعريض المنطقة المحيطة بالمفاعل للخطر .

صاح (محمود) :

ــ ألا يمكن دراسة الأمر مرة أخرى ؟

هزّ الدكتور (محمد) رأسه فى أسف ، وقال :

ــ لقد استغرق الأمر ليلتين كاملتين فى المرة الأولى ، وسيستغرق يومًا على الأقل هذه المرة ، وهذا أكثر مما يمكن أن يحتمله مفاعل (الإسكندرية) قبل انفجاره .

ساد الصمت فى الغرفة ، وعقد (نور) ساعديه أمام صدره ، قائلًا فى صوت خافت :

ــ إذن ، فهذا هو سبب اختطاف الدكتور (حسن) .

ثم استدار إلى الحاضرين وبينهم رفاقه ، واستطرد فى هدوء :

ــ أراهن أن أمر مفاعل (الإسكندرية) هذا مفتعل أو مدّبر ، وهو سبب كل ما يحدث هنا .

هزّت (سلوى) رأسها ، وهى تقول فى إصرار :

ــ ولكنك لاتملك دليلًا هذه المرّة يا (نور) .

ابتسم (نور) قائلًا :

ــ هذا ما لم نعتبر الهجوم على الدكتور (حجازى) دليلًا ياعزيزتى .

ثم ابتسم مستطردًا :

ــ ثم إنّ هناك ما يسمى بالتّخيُّل المدروس ، أو بمعنى أصح وضع النفس فى موقع المختطفين ، وتخيُّل ما يمكن أن يقدموا عليه .. ولقد اتبعنا هذا الأسلوب يومًا يارفاق(*) .

ابتسم (إبراهيم) فى سخرية ، وقال :

ــ وماذا يقول تخيُّلك الـ ... المدروس هذا أيها الرائد ؟

استطرد (نور) ، متجاهلًا رنّة السخرية فى صوت (إبراهيم) :

ــ لقد فعلت ذلك حينما علمت بتفاصيل الأمر ..وضعت نفسى فى موقع المختطفين ، وأخذت أفكّر

(*) راجع قصة (أشعة الموت) .. المغامرة رقم ١

كيف يمكننى اختطاف عالم مصرى فى ظل هذه الظروف ، فأوصلنى عقلى إلى ما سمعتموه منّى منذ لحظات .

انفجر (إبراهيم) فجأة ضاحكًا ، وقال بلهجة تفجّرت السخرية فى كل حرف من حروفها :

ـــ يا للتفكير العلمىّ المنظّم !! ومن أين أتى هؤلاء المختطفون أيها العبقرى ؟

ابتسم (نور) ، متجاهلًا اللهجة الساخرة للمرة الثانية ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لو كنت فى مكانهم ، فسألجأ إلى أقرب بناية ، لضمان أكبر قدر ممكن من السرّيّة .

وتحرّك بضع خطوات ، مواجهًا النافذة الزجاجية المفتوحة ، وتطلّع منها فى صمت بضع ثوان ، ثم أشار إلى البناية الملاصقة لحديقة الهيئة الخلفية ، وقال فى هدوء :

ـــ بناية مثل هذه مثلًا .

ساد الصمت لحظة ، التفت الجميع خلالها إلى حيث أشار (نور) ، ثم غمغم الدكتور (محمـــــد) فى صوت شاحب :

ـــ وكيف يمكنك إثبات فكرتك الجنونية هذه ؟

نظر (نور) فى ساعته ، وقال فى هدوء :

ـــ ما زالت أمامنا خمس وأربعون دقيقة ، قبل انتهاء حظر مغادرة المكان .. ويمكننا اقتحام المبنى وتفتيشه و ...

قاطعه صوت بارد ، يقول فى لهجة بطيئة :

ـــ إنكم لن تذهبوا إلى أى مكان أيها الرائد .

استدار الجميع فى دهشة إلى مصدر الصوت ما عدا أحدهم .. كان هو نفسه مصدر الصوت .. وكان يصوّب إليهم مسدسًا ليزريًّا قويًّا ، وهو يستطرد فى لهجة ساخرة :

ـــ إنها نهاية الرحلة أيها السادة .. وبداية رحلة الانتقال إلى جنة الأغبياء .

* * *

٦ — صراع الأقوياء ..

فتح الدكتور (حسن حسان) عينيه في صعوبة. وتراءت له الأجسام والأشياء مضطربة مشوشة بضع دقائق، قبل أن يستعيد عقله صفاءه، ويرى في وضوح رجلين ضخمي الجثة، لهما ملامح تجمع بين الأوربية والشرقية، يتطلعان إليه في اهتمام واضح، وقد بدا على وجه أكبرهما سنًا شيء من القلق والتوتر .. قال الدكتور (حسن) في عصبية :

— أين أنا ؟.. من أنتما ؟

أشار الأكبر سنًا إلى زميله في ضجر، فأسرع هذا الأخير يهدئ من روع الدكتور (حسن)، قائلًا :

— رويدك أيها المصري .. إننا لا ننوي إيذاءك .

تطلع إليه الدكتور (حسن) في دهشة، وهو يغمغم :

— أيها المصري ؟! .. هل يعنـى هذا أنكمـا غير مصريين ؟ من أنتما ؟

قال الأكبر سنًا في عصبية :

— صه أيها العجوز الأخرق .. لن أحتمل عصبيتك الآن .

صاح الدكتور (حسن) :

— أنا أيضًا لن أحتمل عصبيتك أيها الجاسوس الوغد .

لوح الأكبر سنًا بكفه في ضجر، وقال لزميله :

— أعطه جرعة أخرى من المخدر يا (دافيد) .. دعه ينام حتى ينتهي ذلك الحظر اللعين .

سأله (دافيد)، وهو يتناول أنبوبًا رفيعًا له إبرة مدببة قصيرة :

— كم بقي أمامنا يا (شتاين) ؟

نظر (شتاين) إلى ساعته، وقال في توتر :

— أربعون دقيقة تقريبًا .

صاح الدكتور (حسن) في تلك اللحظة، وأخذ يسب ويلعن حينما غرس (دافيد) الإبرة في ذراعه، وهو يقول :

— ستحطم أعصابي تمامًا، قبل أن تمضي هذه الدقائق .

حاول (شتاين) أن يبدو هادئًا ، ولكنّ العصبية قفزت مع كلماته ، وهو يقول :

ــ سرعان ما تمضى فترة الحظر ، وننتقل بهذا العجوز اللّعين إلى سفارتنا ، ومن هناك يمكننا تهريبه بطريق الشحن الدبلوماسى .. إطمئن يا (دافيد) .. سيسير كل شىء كما خطّطنا له تمامًا .. لاتنس أننا الأقوى .

نظر إليه (دافيد) فى شك ، ثم غمغم فى تخاذل :

ــ ما دمت تقول هذا فهو حقيقى أيها الرئيس .. أليس كذلك ؟

* * *

مطّ الرائد (نور) شفتيه ، وقال فى هدوء وهو يتطلّع إلى الرجل الذى يصوّب إليهم مسدسه اللّيزرىّ الضخم :

ــ لقد حرمتنى لذّة استنتاج الحقيقة هذه المرّة .. لن أغفر لك هذا يا سيّد (نادر) .

ابتسم (نادر) فى سخرية ، وقال :

ــ ليس إلى هذا الحدّ أيها الرائد .. لقد استنتجت

طريقة الخطف والأسلوب الذى اتبعته فى الهجوم على خبيركم الشرعى ، فى مهارة تجعلنى أشهد لك بالعبقرية .

قالت (سلوى) فى حدّة :

ــ لم نكن ننتظر شهادتك هذه .

ضحك (نادر) ضحكة ساخرة ، وقال :

ــ من يدرى ؟.. ربما تحتاجون إليها فى العالم الآخر يا سيّدتى .

قال (نور) فى برود :

ــ كنت سأكشف شخصيتك حتمًا أيها الوغد .

هزّ (نادر) كتفيه ، وقال :

ــ أشك فى ذلك أيها الرائد ، فكل شىء تمّ إعداده بدقّة بالغة .. إننى أعمل هنا منذ عام كامل ، منتحلًا إسم (نادر فهيم) ، وكنت طوال هذه الفترة مثال النزاهة والشرف .. لم يكن بإمكانك كشف شىء واحد .

قال (نور) ، وكأنه لم يسمع حديث (نادر) :

ــ إن حجة تأخرك عن الحضور لم تكن مقنعة ..



ثم صوَّب مسدسه نحوهم ، وقال :

ــ والآن .. من منكم يفضل الحصول على شرف البدء؟

بالإضافة إلى أننى لم أشك سوى فيك وفى زميلك (إبراهيم) ، ولم يكن انتقاؤك من الصَّعب كما تتصوَّر .

نظر إليه (نادر) بتحدٍّ ، وقال :

ــ لم تكن لتجد دليلًا واحدًا .

ثم صوَّب مسدسه نحوهم ، وقال فى هدوء وسخرية :

ــ والآن .. من منكم يفضل الحصول على شرف البدء ؟

قال الدكتور (محمد العفيفى) فى حنق :

ــ أيها الجاسوس القذر .. إنك لن تقتل أحدًا .

ضحك (نادر) ، وقال :

ــ هكذا ؟! .. فلتكن أنت أول الضحايا إذن .

وفجأة .. اندفع (نور) نحو (نادر) ، وقفز محاولًا ركل مسدسه ، ولكن (نادر) انحنى جانبًا فى مهارة المحترفين ، ورفع ساقه فى رشاقة المقاتلين ، لتغوص قدمه فى بطن (نور) ، الذى شعر بألم شديد ، أعقبته لكمة فى فكه ، ألقت به أرضًا ، وسمع (نادر) يصرخ فى عصبية وشراسة :

— تريد أن تتظاهر بالبطولة ؟ حسنًا سأمنحك شرف البدء أيها الرائد .

ورآه (نور) يضغط زرّ إطلاق مسدسه اللّيزرىّ فى غضب، وهو يصوّبه نحو رأسه، ورأى (رمزى) يندفع نحوه صائحًا :

— لا ليس القائد أيها الجاسوس .

انطلق شعاع اللّيزر من أنبوب المسدس، وصرخت (سلوى) جزعًا، وقفز (نور) واقفًا على قدميه، ليتلقّى جسد (رمزى) بين ذراعيه، ومن صدره يندفع خيط من الدّماء الساخنة ..

صاح (نور) فى وجه (نادر) :

— أيها القذر .. لقد قتلته .

صرخ (نادر) فى شراسة :

— هذا مصيركم جميعًا .. ولكنه أصرّ أن يكون الأول .

أطلقت (سلوى) صرخة رعب عالية، وهى تغطّى وجهها بكفيها، عندما عاد (نادر) يصوّب مسدسه إليهم صارخًا :

— من التالى أيها السادة ؟

وفجأة اندفع الدكتور (حجازى) إلى الغرفة، وخلفه طبيب يحاول منعه، ولكنه صرخ :

— (نور) لن يمكنك أن تتصوّر ما كشفت .

ولكنه لم يلبث أن تجمّد فى مكانه، ورأى الجميع الضمادات التى تغطّى معصميه، وهو يحدّق فى وجه (نادر) ومسدسه، صائحًا :

— يا إلهى !!

وبسرعة استدار (نادر) نحوه، وملامحه تشفّ عن الوحشية والغضب، وضغط زرّ مسدسه الليزرىّ .

* * *

٧ — مزيد من الدماء ..

برغم المفاجأة الشديدة التى تعرّض لها الدكتور (محمد حجازى)، إلا أن ردّ فعله كان سريعًا مدهشًا، فقد قفز فجأة إلى اليسار فتجاوزته الأشعة، وأصابت الطبيب الذى يقف خلفه محطّمة ترقوته ..

وصرخ (نادر) فى غضب، وهو يصوّب مسدسه ليعاود الإطلاق، ولكنّ (نور) أطلق فجأة صرخة قتالية قوية، ارتجفت لها أطراف (نادر)، واستدار فى سرعة ليلمح (نور) وهو يدفع جسد (رمزى) بعيدًا، ويثب كفهد غاضب نحو (نادر)، الذى حاول إطلاق أشعة مسدّسه، ولكن (نور) هبط فوقه ليسقط الاثنان أرضًا، ويلتحما فى قتال عنيف ..

كان (نادر) هو الأقوى جسدًا، ولكن (نور) هو الأكثر غضبًا، ولم يلبث أن تخلّص من قبضة (نادر) القوية،

وكال له لكمة أودعها حنقه وقوّته، وتدفّقت لها الدماء من فم (نادر) وأنفه، ولكنه حاول توجيه لكمة يمناه إلى فكّ (نور)، الذى تفاداها بمهارة وهوى على فكّ (نادر) بيمناه، ثم أعقب ذلك بلكمة كالقنبلة، غاصت فى معدة الجاسوس الذى تراخت قبضتاه، وانهال عليه (نور) بلكمات غاضبة قاسية، وهو يصرخ :

— خذْ أيها الجاسوس القذر .. خذْ .

أسرع الدكتور (محمد العفيفى) نحوه، وجذبه صائحًا :

— كفى أيها الرائد .. ألا ترى أنك ستقتله ؟

توقفت قبضة (نور) فى طريقها إلى فكّ الجاسوس، ونظر إلى الدماء التى تغطّى وجهه لحظة، ثم أعاد قبضته إلى جانبه، وهو يقول :

— لا بأس بمزيد من الدّماء يا سيّدى .

اتسعت عينا (سلوى) دهشة، حينما استمعت لعبارة (نور)، فهى أكثر من يعرف كراهيته الشديدة للعنف

والدمار ، وإراقة الدماء ، ولكنها رأته ينهض ويسرع ، فينحنى على جسد (رمزى) ، قائلًا فى جزع :

ـــ ياإلهى !! لا تمته يا إلهى .

أسرع الدكتور (حجازى) يفحص (رمزى) فى اهتمام ، ثم غمغم فى جزع :

ـــ يا إلهى !! إن الفتى يعانى سكرات الموت .

اتسعت عينا (سلوى) ذعرًا ، وشحب وجه (محمود) ، وغمغم (نور) فى ذهول :

ـــ الموت ؟!

ثم قفز نحو جهاز التليفديو ، وهو يصيح :

ـــ يجب نقله فى الحال إلى أقرب مستشفى .. يجب نقله حتى ولو اضطررت إلى فك الحظر عن المنطقة .

* * *

حك (شتاين) ذقنه وهو يتطلّع من نافذة غرفته ، وقال فى لهجة تشف عن الحيرة والتساؤل :

ـــ عجبًا !! هناك طائرة من نوع هليوكوبتر الإسعاف

النفّاثة ، تهبط فى فناء هيئة الطاقة الذرّية .. ماذا حدث هناك ياتُرى ؟

أسرع (دافيد) إلى النافذة يتطلّع منها بدوره ، وغمغم فى قلق :

ـــ ربمّا أوقعوا برجلنا هناك أو ....

قاطعه (شتاين) فى عصبيّة :

ـــ مستحيل .. كل شىء تمّ إعداده بدقّة بالغة .. لن يجدوا دليلًا واحدًا ضد (نادر) .

غمغم (دافيد) :

ـــ ماذا حدث هناك إذن ؟

صاح (شتاين) فى غضب :

ـــ فليحدث ما يحدث .. فليقتلوا (نادر) ، المهمّ أن نحصل على ما نبغى .

تقهقر (دافيد) خوفًا من ثورة رئيسه ، ولكنه لم يستطع منع نفسه من أن يتمتم فى صوت مرتجف :

ـــ ولكن .. الهليوكوبتر النفاثة و ....

صرخ (شتاين) فى صوت هادر :

ـــ قلت لك إن هذا لا يعنينى .. فليحضروا ما يحلو لهم ، حتى لو أحضروا طائراتهم النووية و ....

وفجأة بتر (شتاين) عبارته ، وبرقت عيناه وهو يصيح :

ـــ يا إلٰهى !! هذا الأمر يعنى الكثير .

انفرجت أسارير (دافيد) ، وهو يقول :

ـــ ألَمْ أقل لك ؟

أزاحه (شتاين) بعيدًا ، وهو يقول فى حنق :

ـــ لست أقصد ما تعنيه أيها الغبىّ .. إننى أعْنى أن هذا يوحى لى بوسيلة ممتازة لاستغلال الوقت .

قطَّب (دافيد) حاجبيه ، وهو يسأل :

ـــ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟

أشعل (شتاين) سيجارته ، وهو يقول :

ـــ أعْنى أن الحظر المفروض على المنطقة ، يمنع الخروج منها لا الدخول إليها .

تدلَّت فكّ (دافيد) السفلى ، وهو يقول :

ـــ وماذا يعنى هذا أيضًا ؟

ابتسم (شتاين) فى خبث ، وقال وهو ينفث دخان سيجارته :

ـــ يعنى أننا نستطيع استدعاء حوّامة دبلوماسية من سفارتنا ، لتهبط فوق سطح المبنى ، وننقل إليها الصندوق الذى وضعنا فيه هذا العالم المصرىّ العجوز .. وأنت تعلم أن الحوّامة الدبلوماسية مثل أرض السفارة بالضبط ، يعتبر القانون الدولى كليهما أرضًا تابعة للدولة المَضيفة لا للدولة المُضيفة ، واقتحام أيهما قد يؤدى إلى إشعال نيران حرب نووية لا هوادة فيها .

ابتسم (دافيد) ابتسامة بلهاء ، وهو يقول :

ـــ لقد فهمت يا سيِّدى .. سنختصر المدة الباقية ، لنضمن حصولنا على العالم المصرى .

نظر (شتاين) فى ساعته ، وابتسم وهو يضغط أزرار التليفديو ، قائلًا :

ـــ نعم يا (دافيد) ، سنختصر نصف ساعة كاملة .

عاد وجه (دافيد) إلى تجهمه ، وهو يقول :

ــ وماذا لو أنهم توصلوا إلينا قبل وصول حوّامتنا ؟

ضحك (شتاين) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ اطمئن من هذه الناحية يا (دافيد) .. لقد أعِدّ كل شىء بمنتهى الدّقة .. لن يمكنهم مطلقًا أن يعرفوا من نحن ولا من أين أتينا .

* * *

ــ (شتاين جولدمان) و (دافيد بن زاين) .. ضابطا مخابرات يتبعان دولتى .

قال (نادر) هذه العبارة ، فى هدوء من يسلّم بفشل مهمته ، وهو يمسح خيطًا من الدماء تسلّل خارج الضمادات التى تغطّى وجهه ، فعاد (نور) يسأله فى توتّر :

ــ وأين يمكن أن نجدهما ؟

ابتسم (نادر) فى شحوب ، وقال :

ــ ألمْ تقل بنفسك إنهما فى البناية المجاورة ؟

سأله (نور) فى حِدّة :

ــ فى أى طابق ؟ وفى أى شقة ؟

أجاب (نادر) فى سرعة ، وكأنه يخشى ثورة (نور) :

ــ فى الطابق التاسع .. الشقة رقم تسعين .

صاحت (سلوى) :

ــ لمْ يعد أمامنا سوى ثلاث وعشرين دقيقة يا (نور) .. لابدّ أن نسرع بمنعهم .

تنهّد (نور) ، وهو يقول :

ــ سنفعل يا عزيزتى ، ولكن بعد أن نُعِدّ لخطّة مضمونة .

ثم التفت إلى (نادر) ، وقال فى برود :

ــ ولتعلم أيها الوغد أن حياتك ستتعلّق بنجاة (رمزى) .. فلو أنه لقى نحبه ، فسأجعلك تكره كل لحظة من العام الذى قضيته تعمل هنا .

أشار (محمود) فجأة إلى الخارج ، وهو يقول :

ــ هناك حوّامة تقترب من المبنى المجاور أيها القائد .. إنها تحمل شعار الدولة التى ينتمى إليها هذا الجاسوس .

اتسعت عينا (نور) ، وهو يقول :

ـــ يا إلهى !! هذا يغيّر الأمر تمامًا .

واختطف مسدسه الليزرىّ ، وهو يصيح :

ـــ أسرعوا يارفاق .. لابدّ أن نلحق بهؤلاء الأوغاد ، قبل أن يتمّوا عمليتهم القذرة .. أسرعوا .





٨ ـــ الهجوم ..

قالت (سلوى) فى صوت لاهث من شدة الانفعال ، وهى تتبع (نور) و (محمود) والدكتور (محمد العفيفى) ، إلى سطح المبنى المجاور :

ـــ ماذا تنوى أن تفعل يا (نور) ؟.. إن الهجوم على حوّامة دبلوماسيّة تابعة لدولة أجنبية ، يمكن أن يقيم حربًا نووية .

صاح (نور) ، وهو يرتقى الدّرج الأخير :

ـــ ولكن إطلاق الأشعة على جاسوسين ، لا يؤدّى إلى ذلك يا (سلوى) .

صاحت فى دهشة تمتزج بالفزع :

ـــ (نور) .. ماذا تقول ؟.. لقد تغيّرت كثيرًا .

وفى تلك اللحظة .. سمع الجميع صوت محرّكات الحوّامة وهى تدور ، استعدادًا للانطلاق ، فصاح الدكتور (محمد) :

— أسرع أيها الرائد .. إنهم ينطلقون .

قال (نور) ، وهو يحاول معالجة مزلاج الباب المؤدى إلى السطح فى يأس :

— هذا الصوت يعنى استعداد الحوّامة للانطلاق ، لا انطلاقها بالفعل يا دكتور (محمد) .

ثم لم يلبث أن صاح فى حنق :

— يا لهؤلاء الأوغاد !! لقد أغلقوا المزلاج الإلكترونى خلفهم .

وابتعد بضع خطوات ، وهو يصوّب مسدسه الليزرىّ إلى المزلاج صائحًا فى رفاقه :

— ابتعدوا قليلًا .. سأحطّم هذا المزلاج اللّعين .

وانطلقت من أنبوب مسدّسه دفعة من الأشعّة ، ذاب لها المزلاج ، واندفع (نور) يزيح باب السطح ، ويقفز إلى هناك ..

كان الجاسوسان (شتاين) و (دافيد) قد انتهيا من وضع الصندوق الذى يحوى العالم المصرىّ فى الحوّامة ،

ولكنهما لم يتخذا مقعديهما داخلها بعد ، حينما اندفع (نور) إلى السطح ، وخلفه رفاقه ، فصاح (دافيد) فى رُعب :

— يا للشيطان !! لقد لحقوا بنا يا سيِّدى .. لقد ...

وبتر عبارته التى امتزجت بصراخ يحمل الألم والذُّعر ، عندما اخترقت أشعّة (نور) ساقه اليسرى ، ولكن (شتاين) أسرع ينتزع مسدسه اللّيزرىّ ، ويطلق منه ثلاث دفعات متوالية ... وقفز (نور) جانبًا برشاقته المكتسبة من تدريبات المخابرات ، ولكن رفاقه لَمْ يكونوا قد تلقَّوْا تدريبات مماثلة ؛ لذا فقد تلقى (محمود) دفعتين من الأشعّة فى صدره ، وجانب عنقه ، وأطلق صيحة ألم وهو يهوى أرضًا ، على حين اخترقت الدفعة الثالثة ذراع (سلوى) ، التى أطلقت صرخة عالية تفجّر لها الغضب فى نفس (نور) ، فصرخ فى غيظ :

— أيها الأوغاد .

وانطلقت من مسدسه دفعة أطاحت بمسدس (شتاين) ، الذى تحرّك فى سرعة عجيبة ، فقفز داخل الحوّامة صائحًا :

ـ انطلق أيها الطيَّار .. انطلق بنا بعيدًا .

صاح الدكتور (محمد) :

ـ ربَّاه !! إنهم يهربون .

ولكن (نور) أطلق أشعته محطمًا المحرِّك النفَّاث للحوَّامة ، التى خرج منها صوت يشبه زئير الأسد ، قبل أن تتوقَّف تمامًا ، ويسود صمت مريب ، انطلق بعده صوت (شتاين) صارخًا :

ـ حذار أيها الشُّرطى .. لو أطلقت دفعة واحدة من مسدسك ، فستشعل حربًا نووية بين دولتينا .

تجاهل (نور) التحذير ، وصوَّب مسدسه إلى (شتاين) ، الذى شحب وجهه رعبًا .. ولكن الدكتور (محمد العفيفى) أسرع يتعلَّق بذراعه ، قائلًا :

ـ كفَى أيها الرائد .. لقد منعت حوَّامتهم من الإقلاع ، وهذا وحده يكفى لإثارة أزمة دبلوماسية .. ثم إن ما يقوله هذا الوغد صحيح للأسف .

استوعب عقل (نور) الأمر بسرعة ، فأرخى مسدسه ،

واستدار يسرع الخطا نحو زوجته و (محمود) ، ولكنَّ (سلوى) صاحت فى ألم :

ـ دَعْك منِّى يا (نور) .. لن يقتلنى جرح فى ذراعى .. حاول إسعاف (محمود) .

أسرع (نور) يفحص جراح (محمود) فى جزع ، ثم لَمْ يلبث أن غمغم :

ـ يا إلٰهى !! لقد أصيب فى موضع القلب تقريبًا .. إن دماءه تنزف بغزارة .. وعنقه كذلك ..

وفى تلك اللحظة .. ظهر الدكتور (حجازى) على الباب المؤدِّى إلى السطح ، واندفع دون أن ينطق بكلمة نحو جسد (محمود) ، وفحصه فى سرعة ، ثم قال :

ـ هذا الفتى سيلفظ أنفاسه الأخيرة ما لَمْ ينقل فورًا إلى قسم الرعاية المركزة .

نهض (نور) واقفًا فى صمت ، ينظر إلى الحوَّامة الأجنبية ، وقد ارتسمت على ملامحه أقصى علامات الغضب والحنق والكراهية ، وسمع الدكتور (محمد العفيفى) وهو يقول :

ـ يا للهول !! هل سنظل نتأملهم هكذا ، دون أن نقدر على منعهم ؟

استمرَّ (نور) على صمته بضع لحظات ، ثم قال فى صوت يفيض بالكراهية :

ـ كلَّا يا دكتور (محمد) .. إننا لن نسمح لهم بهزيمتنا على أرضنا .

تردَّد الدكتور (محمد) لحظة ، قبل أن يسأله :

ـ وماذا سنفعل أيها الرائد ؟

استدار إليه (نور) ، وأمسك كتفيه فى قوة ، وقال فى صوت خافت ، وهو يضغط كل حرف من حروف كلماته :

ـ اسمعنى جيِّدًا يا دكتور (محمد) .. هل تعرف (مشيرة محفوظ) ؟

نظر إليه الدكتور (محمد) فى دهشة ، وقال :

ـ إذا كنت تقصد مذيعة أنباء الفيديو ، فأنا أعرفها بالتأكيد .

قال (نور) فى حزم :

ـ ستفعل ما سأخبرك به إذن .. ستتصل أولًا بالمركز الإسعاف ، لنقل (محمود) وعلاجه ، ثم تتصل بـ (مشيرة) وستخبرها بما سأمليه عليك الآن .

* * *

وضع قائد الحوَّامة الأجنبية سبَّابته على زرِّ الاتصال ، ثم التفت إلى (شتاين) ، الذى ينفث دخان سيجارته فى عصبية ، وقال :

ـ سترسل السفارة حوَّامة ثانية يا سيِّدى ، ولكن كيف ننتقل إليها ؟ .. أنت تعلم أنه بإمكانهم اصطيادنا فى أثناء خروجنا من هذه الحوَّامة ، فالمسافة التى ستفصل الحوَّامتين تعدُّ أرضًا مصرية .

قذف (شتاين) بقايا سيجارته من نافذة الحوَّامة فى عصبية ، وهو يقول :

ـ اطمئن أيها الطيَّار .. لقد أعددت لكل شىء عُدَّته .. إننا نطأ أرضًا مصرية بأقدامنا .. ستلتصق بباب حوَّامتنا الحوَّامة الأخرى ، حتى يمكننا العبور إليها مباشرة .

ساد الصمت لحظات ، تأمّل (شتاين) خلالها هليوكبتر الإسعاف ، وهى تحمل جسد (محمود) ، والحوّامة المصرية التى هبطت على بعد أمتار قليلة منهم ، ثم قال وهو يشعل سيجارته العاشرة منذ دخوله إلى الحوّامة :

— يبدو أن المصريين يُعِدُّون أمرًا ما .. لَمْ أكن أوَدّ أن تنتهى المهمة بهذا الشكل المكشوف .

قال الطيّار فى تردُّد ، وهو يراقب الموقف بدوره :

— لماذا لا نسلّمهم رجلهم يا سيّدى ؟

صاح (شتاين) فى غضب :

— ماذا تقول أيها الأحمق ؟.. سنحصل على صيدنا مهما كان الثمن .. ألا تدرى أنهم لا يستطيعون إثبات وجود الدكتور (حسن) بحوزتنا ، إلّا إذا دمّروا الحوّامة أو اقتحموها بالقوة .. وهذا ما يحاولون تجنُّبه .

قال الطيّار :

— ألا يمكنهم أن يشهدوا بذلك ؟

ضحك (شتاين) فى توتُّر ، وقال :

— سننكر ذلك بالطبع ، وسنقول إن الأمر ملفّق .. إن إثبات ذلك مستحيل أيها الرجل .. صدّقنى .. ما زلنا فى الموقف الأقوى .

ابتسم الطيّار ابتسامة متوتّرة ، وقال وهو يشير إلى السماء :

— بالطبع يا سيّدى .. وها قد وصلت حوّامتنا الثانية .. لقد انتصرنا يا سيّدى .

* * *



٩ ـ مطاردة فى السماء ..

شعر (نور) بحنق بالغ يملأ نفسه ، عندما هبطت الحوَّامة الأجنبية الثانية فوق سطح المبنى ، وحرص قائدها على أن يهبط فى مهارة ، ملاصقًا الحوَّامة المعطَّلة تمامًا ..

فالتفت (نور) إلى الدكتور (محمد العفيفى) ، وسأله :

ـ هل أبلغت (مشيرة محفوظ) الرسالة ، كما سمعتها منّى تمامًا ؟

قال الدكتور (محمد العفيفى) :

ـ نعم أيها الرائد ، وإن كنت لَمْ أفهم ما تنويه بالضبط .

تعلَّقت (سلوى) بذراع (نور) ، ولوَّحت بذراعها المصابة ، وهى تقول فى ضيق :

ـ هل نويت ضمّ (مشيرة محفوظ) إلى الفريق يا (نور) ؟

تجاهل (نور) الغيرة الواضحة فى صوتها ، وقال فى أسف .

ـ فلندع الله أن يعود الفريق فريقًا يا (سلوى) .

اقترب منه فى هذه اللحظة ، الملازم قائد الحوَّامة المصرية ، وقال بعد أن أدّى التحية العسكرية :

ـ لن يمكننا اصطيادهم أيها الرائد .. إن الحوَّامتين متلاصقتين تمامًا .

غمغم الدكتور (محمد العفيفى) فى حنق :

ـ لو أن الأمر بيدى ، لأطلقت أشعَّتى عليهم ، متجاهلاً قواعد القانون الدولى .

قال (نور) فى هدوء :

ـ وكنت ستفقد حقوقك فور ذلك يا دكتور (محمد) .

ثم صمت لحظة ، وعاد يردف :

ـ مع أنه بإمكانك فعل ذلك ، وضمان حقك فى الوقت نفسه .

سأله الدكتور (محمد) فى دهشة :

ـ كيف أيها الرائد ؟

قال (نور) فى هدوء :

ـ دَعْ ذلك لى يا دكتور (محمد) ، وثِق أن هؤلاء الأوغاد لن يهزمونا على أرضنا مطلقًا .

* * *

قهقه (شتاين) فى فرح جنونى ، وهو يدقُّ بكفّيه فى انفعال ، على الصندوق الذى يحوى جسد الدكتور (حسن) ، وصاح وهو يهمّ بمعانقة قائد الحوّامة المعطّلة :

ـ لقد نجحنا يا رجل .. نجحنا ونقلنا صيدنا إلى الحوّامة السليمة .. سننطلق على الفور إلى سفارتنا .

قال قائد الحوّامة الجديدة فى قلق ، وهو ينظر إلى الجنود المصريين ، الذين تجمّعوا فوق سطح المبنى حول الحوّامة المصرية :

ـ ودِدْتُ لو شاركتك ثقتك هذه بالنصر يا سيّد (شتاين) ، ولكن ما أراه لا يبشّر بالخير .

ضحك (شتاين) ، وقال وهو يربّت على كتف الطيّار الجديد :

ـ اطمئن يا صديقى .. إننا نُعَدُّ فى أرضنا داخل حوّامتنا هذه ، ولن نغادرها إلا فى أرض سفارتنا ، وأنت تعلم أن القانون الدولى يَعُدُّها أرضنا أيضًا .

ثم اضطجع فى مقعده ، وأشعل سيجارته ، وهو يقول فى ثقة انفرد بها :

ـ هَلُمَّ يا رجل .. انطلق بنا فى اطمئنان .. لقد انتصرنا .

* * *

بدأت محركات الحوّامة الأجنبية تدور ، فأسرع (نور) نحو قائد الحوّامة المصرية ، وقال فى لهجة آمرة :

ـ اهبط يا صديقى .. سأحصل على هذه الحوّامة ، باسم المخابرات العلمية .

هزَّ قائد الحوّامة كتفيه وهو يهبط ، سائلًا (نور) فى هدوء عجيب :

ـ هل تحمل تصريحًا بقيادتها ؟

أدار (نور) محركات الحوّامة ، قائلًا فى اختصار :

— بالطبع .

ولم تكد الحوّامة الأجنبية ترتفع حتى ارتفعت خلفها حوّامة (نور) فى مهارة ، ظهرت واضحة فى نظرات الحاضرين ، وقالت (سلوى) فى قلق :

— أرجو من الله (سبحانه وتعالى) ، ألا يتجاوز (نور) مقدرته فى قيادة الحوّامات .. إنه حينما يتحمّس لأمر ما فإنه ..

قاطعها قائد الحوّامة المصرية ، قائلاً :

— اطمئنى يا سيّدتى .. لو أننى أنا الذى أقودها ، ما كنت أكثر مهارة .

وفى اللحظة نفسها ، صاح قائد الحوّامة الأجنبية فى توتّر :

— إنهم يطاردوننا يا سيّد (شتاين) .

ابتسم (شتاين) فى هدوء ، وقال :

— فليفعلوا ما يريدون يا رجل .. قلتُ لك إننا انتصرنا .

ثم اعتدل ، ونفث دخان سيجارته ، وهو يستطرد :

— زِدْ من سرعتك ، حتى نصل إلى سفارتنا فى أسرع وقت ممكن ، لقد أوحشنى علَمنا ذو النّجمة السُّداسية .

قال الطيّار بصوت يشف عن القلق :

— إننى أنطلق بأقصى سرعة بالفعل .

صاح الطيّار الآخر فى فرح :

— هاهو ذا علَمُ سفارتنا .. لقد وصلنا يا سيّد (شتاين) .

صرخ (شتاين) فى فرح ، وأخذ يصفّق بكفّيه كالأطفال ، ولكنه فوجئ بجسده يميل فجأة ، حتى كاد يسقط من مقعده ، فصاح فى غضب :

— ماذا تفعل أيها الأحمق ؟ .. هل تظن نفسك فى مناورة حربية ؟

صاح الطيار ، وهو يتشبّث بعصا القيادة :

— إنه هذا الضابط المصرى .. لقد اعترض طريقنا .. إنه يحاول منعنا من الهبوط فى السّفارة .

تشبّث (شتاين) بمقعده ، وهو يغمغم فى ذهول :

— يحاول منعنا ؟

ولكنه لم يلبث أن صاح فى غضب :



— إنه هذا الضابط المصري .. لقد اعترض طريقنا ..

— هذا ليس من حقِّه .. ليس من حقِّه .

ووضع يده على كتف الطيَّار ، قائلًا في شراسة :

— لقد شاهده الجميع يعترض حوَّامتنا الدبلوماسية ..
لقد جعل موقفنا سليمًا .. أطلق مدافع اللِّيزر عليه ..
حطِّمه ولا تخش شيئًا .





١٠ ــ الخدعة ..

انطلق عمودان من أشعّة اللّيزر الفتّاكة ، من المدفعَيْن المثبّتَيْن فى مقدمة الحوّامة الأجنبية ، واخترقا سماء القاهرة ، فى طريقهما نحو حوّامة (نور) ، ولكنه انحرف فى مهارة ، مخاطرًا باتخاذ مسار عمودى مفاجئ ، ثم عاد يدور دورة أفقية ماهرة ، ليعترض طريق حوّامة (شتاين) ، التى اضطرت إلى الابتعاد عن سفارتها للمرة الثانية .. وعاود قائدها إطلاق مدافع الليزر على حوّامة (نور) ، الذى هبط فى هذه المرة بصورة حادّة ، وعاد يرتفع بعد تجنُّبه شعاعى اللّيزر ، ليمرّق بحوّامته أمام الحوّامة الأجنبية ، ثم ينقضّ عليها فى مبادرة مذهلة ، أربكت قائدها ، فدار بحوّامته حول نفسها ، ولم يسمع صوت الصرخات التى انطلقت من أفواه المارّة فى شوارع المدينة ، ولكنه سمع صوت صرخة (شتاين) ، وهو يقول :

ــ اقتله .. لا تسمح له باعتراض حوّامتنا .. هذا ليس من حقّه .. اقتله .

عادت مدافع اللّيزر تطلق أشعتها ، وتفاداها (نور) أيضًا هذه المرة فى مهارة ، وهو يغمغم :

ــ حان وقت ردّ الاعتداء أيّها السادة ، ولنر من منّا أكثر جرأة ومهارة .

ثم دار بحوّامته وقد تحوّل الأمر إلى دوران مستمر ، وأطلق مدفعي اللّيزر بحوّامته ، وشاهد الشعاعين الزرقاوين ، يشقّان الهواء ، ويرتطمان بالمحرّك الخلفى للحوّامة الأجنبية ، فتطاير أجزاؤه ، وتفقد الحوّامة اتّزانها ، فتدور حول نفسها بشكل مرعب ، وفى داخلها صرخ (شتاين) :

ــ افعل شيئًا أيها الطيار .. حاول أن تهبط فى فناء السفارة .

قال الطيار فى لهجة لاتقل قلقًا عن (شتاين) :

ــ لم يَعُد لدينا الخيار يا سيّد (شتاين) .. سنهبط على الرغم منّا فى الشارع المواجه للسفارة .. لقد أجبَرنا هذا الضابط المصرى اللّعين على هذا .

فغر (شتاين) فاه ، وبدت البلاهة على ملامحه لحظة ، انهار بعدها فوق مقعده قائلًا :

ـــ لكن .. إنه لن يجرؤ على اقتحام حوّامتنا دون شهود .. إنه لن يجرؤ .

هبطت الحوّامة الأجنبية مرغمة فى الطريق ، على بعد عشرة أمتار من بوّابة السفارة ، على حين تعمّد (نور) الهبوط بحوّامته عموديًا ، حيث استقرت فى المسافة بين الحوّامة الأجنبية والسفارة ، واحتشد الطريق بجمع من الناس ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (نور) من حوّامته ، شاهرًا مسدسه الليزرىّ ، وانطلق نحو الحوّامة الأجنبية .

اختطف (شتاين) مسدّس الطيّار ، ودفع باب حوّامته ، وصوّب مسدّسه إلى (نور) ، وهو يصيح فى جنون :

ـــ لقد بدأت بالاعتداء أيها المصرىّ ، ويحق لى قتلك .

وفجأة وبحركة سريعة ماهرة ، رفع (نور) مسدسه الليزرىّ ، وأطلق منه دفقة أشعة ، أطاحت بمسدس

(شتاين) ، وأخرى اخترقت كتف هذا الأخير ، الذى أطلق صرخة تجمع بين الألم والخوف والذهول ، وهو يسقط على ظهره ..

وقبل أن يدرك أحد ما حدث ، أطلق (نور) دفقة أخرى ، اخترقت زجاج الحوّامة ، وحطّمت جهاز الاتصال ، الذى رفعه الطيّار ، ثم اندفع (نور) إلى الحوّامة الأجنبية ، ودفع (شتاين) جانبًا فى قسوة وهو يقفز داخلها ، وتفادى لكمة قويّة وجّهها إليه قائد الحوّامة الأجنبية ، ثم كال له لكمة ساحقة ، سقط الرجل إثرها متأوّهًا متألمًا ، على حين رفع الطيار الآخر ذراعيه ، وهو يصرخ فى ذُعر :

ـــ إننى أستسلم .

وصرخ (شتاين) ، وسط الهرج الذى ساد المكان :

ـــ ليس هذا من حقّك .. ليس من حقّك .

ولكن (نور) تجاهل صراخه ، وهو ينهمك فى فتح الصندوق الضخم .. ولم يكد بصره يقع على الدكتور



(حسن) ، ولمح صدره يعلو ويهبط بأنفاسه المتردِّدة ، حتَّى تنهَّد فى ارتياح ، والتفت إلى (شتاين) ، قائلًا فى سخرية :

ـــ سأخرج الدكتور (حسن) أوَّلًا ، ثم نتناقش فى الممنوعات يا جاسوس العِلْم .

صرخ (شتاين) فى حِدَّة :

ـــ لقد ارتكبت خطأً رَهيبًا باقتحامك حوَّامتنا أيُّها المصرىّ .. ستفصل من وظيفتك .

حمل (نور) جسد الدكتور (حسن) ، ومدَّده على الأرض خارج الحوَّامة فى هدوء ، ثم انتصب ومسح العرق

المتصبِّب على جبينه ، وأشار إلى الدكتور (حسن) ، قائلًا فى صوت هادر :

ـــ إنكم تختطفون علماءنا يا سيِّد (شتاين) .. ألا يُعَدُّ هذا عملًا عدوانيًّا .

صرخ (شتاين) ، وهو يكتم براحته الدَّم المتدفِّق من جرحه :

ـــ ليس لديك دليل واحد أيها المصرى .. عليك أن تثبت أنك أخرجته من حوَّامتنا .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـــ وماذا عن شهود المطاردة ؟

صاح (شتاين) :

ـــ كلهم من المصريِّين وأعضاء سفارتنا .. سنقول إنها مؤامرة من قبل المصريِّين لإحراجنا دوليًّا ، ولن ينطق أعضاء سفارتنا بكلمة واحدة .

اتَّسعت ابتسامة (نور) ، ثم لم تلبث أن تحوَّلت إلى قهقهة عالية ، ونظر إليه (شتاين) والطيَّاران فى دهشة ، وصرخ الأوَّل فى غضب :

— ماذا يضحكك بحقّ السّماء ؟

أشار (نور) إلى فتاة جذّابة تقف على بعد أمتار قليلة منه ، وقال :

— هل تمّ كل شيء بحسب اتفاقنا يا (مشيرة) ؟

اقتربت منه الفتاة ، قائلة فى هدوء :

— كل شيء أيها الرائــد .. على الهواء مــباشرة .. وبالتوزيع العالمى المجسّم .

تدلّت فك (شتاين) السفلى فى بلاهة وهو يغمغم :

— ماذا يعنى هذا ؟

أومأ (نور) بيده تجاه الفتاة ، وقال فى هدوء :

— نسيت أن أقدّم لك زميلتى يا سيّد (شتاين) .. إنها تدعى (مشيرة محفوظ) ، صاحبة أشهر تحقيقات أنباء (الفيديو) ، وهى أشهر صحفيّة فى مجال الصحف المرئية ، يذاع برنامجها على موجات بث القمر الصناعى المجسّم ، بالألوان الطبيعية المجسّمة ، فى خمسين دولة على الأقل ، منهم دولتك للأسف .

بدا بوضوح من امتقاع وجه (شتاين) أنه فهم كل شيء ، على حين استطرد (نور) فى هدوء :

— وهكذا شاهدت هذه الدول الخمسون ، وعلى الهواء مباشرة من خلال أجهزة (الهولوفيزيون) المجسّمة ، كل ما حدث بيننا ، منذ غادرنا سطح المبنى المجاور لهيئة الطاقة الذريّة ، وحتّى هذه اللحظة .. كل ما حدث يا سيّد (شتاين) حتى إخراجى الدكتور (حسن) فاقد الوعى من حوّامتكم .. لقد أصبح لدينا ملايين الشهود على فعلتكم الدنيئة يا سيّد (شتاين) .

تحوّل وجه (شتاين) إلى الشحوب الشديد ، وشعر بغصّة فى حلقه تمنعه من النطق ، ولكنه لم يلبث أن تغلّب عليها مغمغمًا :

— كل شيء ؟!

قال (نور) فى هدوء وصرامة :

— كل شيء يا سيّد (شتاين) .

ثم أردف فى قسوة :

— لقد هزمتم أيها الوغد .

فوجئ (نور) بـ (مشيرة) ، تقول فى صوت خافت :

— لقد هزمتما يا (نور) .

التفت إليها ، وسألها فى دهشة :

— ماذا تعنين يا (مشيرة) ؟

قالت فى هدوء ، وهى تشير لزميلاتها بإيقاف التصوير :

— أعنى أن رؤساءك لن يعجبهم هذا أيها الرائد .

وأردفت فى لهجة تحمل رنة الأسف .

— سيحدث هذا مع الأسف .

* * *



١١ — الختام ..

— هل تظن نفسك نجمًا سينمائيًا أيها الرائد ؟

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية هذه العبارة ، فى حِدّة وغضب أدهشا (نور) ، الذى ارتفع حاجباه عاليًا وهو يغمغم :

— ولكننا نجحنا فى إنقاذ عالمنا يا سيِّدى و ....

قاطعه القائد الأعلى ، صائحًا فى غضب :

— بل قُلْ إنك صنعت أكبر فضيحة دبلوماسية ، فى القرن الحادى والعشرين أيها الرائد .. لقد جعلت العالم كله يرى كيف أنهم نجحوا فى إخراج عالمنا من هيئة الطاقة الذرّيّة أمام أعيننا .. لقد تصرَّفت تصرُّفًا خاطئًا أيها الرائد .

شعر (نور) بغضب عنيف يجتاح نفسه ، حتى أنه قال فى حِدّة :

— المهم أننا منعناهم فى النهاية يا سيِّدى .. ولقد بذلنا

فى سبيل ذلك كل ما بقدرتنا .. إن (رمزى) ما زال فاقد الوعى ، فى قسم الرِّعاية المركَّزة بالمستشفى ، و (محمود) فى حالة من الخطورة ، حتى أنه أقرب إلى الموت منه إلى الحياة ، وزوجتى أُصيب ذراعها و ....

قال القائد الأعلى فى حِدَّة أكبر :

ــ كفى أيها الرائد .. لقد تجاوزت حدودك ، ولن نسمح لك بأكثر من ذلك .

وأشاح بوجهه بما يعنى انتهاء المقابلة ، وهو يقول فى برود :

ــ لقد أصدرت أوامرى بنقلك إلى شرطة الفضاء أيها الرائد .

مطَّ (نور) شفتيه ، وهو يشعر بحنق بالغ يملأ نفسه ، ولكنه بالرَّغم من ذلك ، رفع يده بالتحية العسكرية ، ودار على عقبيه نصف دورة ، ثم تحرَّك فى خطوات ثابتة ، وغادر مكتب القائد الأعلى .

* * *

هزَّ الدكتور (محمد حجازى) رأسه فى أسف ، وقال فى لهجة أقرب إلى الاشمئزاز :

ــ شرطة الفضاء !! يا لتدخُّلات السياسة اللَّعينة .

حرَّك (نور) كتفيه بشكل يشف عن اللامبالاة ، وهو يقول :

ــ هذا لايهم يا دكتور (حجازى) .. إن الشُّرطىَّ يقوم بواجبه فى كل مكان .

ثم تحوَّلت لهجته إلى الاهتمام ، وهو يستطرد :

ــ المهمّ هو كيف حال (رمزى) و (محمود) ؟

صمت الدكتور (حجازى) طويلًا ، ثم قال :

ــ حالهما غير مطمئن للأسف ياولدى .. مازالا يصارعان الموت فى يأس .

سالت دمعة ساخنة على وجنة (نور) ، وهو يغمغم :

ــ فلندعُ الله أن يهبهما الشفاء .

ساد الصمت لحظة ، ثم قالت (سلوى) فى محاولة لتغيير الحوار :

ــ هل تتصوَّر أننى حتى الآن لم أعلم ما كشفته فى البقايا المحترقة يادكتور (حجازى) ؟

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه ، قائلًا :

ـ هذا صحيح يا بنيّتى ، فالأمور لَمْ تسِرْ منتظمة متناسقة هذه المرّة .

سأله (نور) :

ـ هلّا أخبرتنا الآن بما وجدت يا سيّدى ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، وقال :

ـ لقد كشفت أن تلك الساق قديمة ، مرّ على وفاة صاحبها ثلاثة أيام على الأقل ، ولكنها حُفظت بطريق التجميد ، ثم أُحرقت أطرافها المقطوعة حديثًا .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ كان هذا كفيلًا بكشف الأمر على الفور .

وافقه الدكتور (حجازى) ، قائلًا :

ـ لهذا حاول (نادر) التخلّص منّى ، لولا تدخّلكم يا (نور) .

صمت (نور) لحظة ، ثم قال :

ـ هل تؤمن بالتشاؤم يا دكتور (حجازى) ؟

نظر إليه الدكتور (حجازى) و (سلوى) فى دهشة ، وسألاه فى آن واحد :

ـ ما معنى سؤالك هذا يا (نور) ؟

ابتسم ابتسامة جافّة ، وهو يقول :

ـ إنها المرّة الأولى التى ينكشف فيها المجرم قبل أن أتوصّل إليه ، ولقد استتبع ذلك مجموعة من الحوادث المؤسفة ، فأصبت أنت يا دكتور (حجازى) ، وكِدْت تلقَى حتفك ، وما زال (رمزى) و (محمود) يصارعان الموت ، و (سلوى) أصيبت ذراعها ، وأنا نقلت من المخابرات العلمية إلى شرطة الفضاء ، وعوقبت ـ لأوّل مرة ـ على انتصارى .. ماذا يكون التشاؤم إن لم يكن كذلك ؟

ضحك الدكتور (حجازى) ، وقال :

ـ يا إلٰهى !! هل تؤمن حقًّا بما تقول يا (نور) ؟ لقد ظننتك أقوى من ذلك كثيرًا .

ابتسمت (سلوى) فى خبث ، وقالت :

ـ لا تصدِّقه يا دكتور (حجازى) .. إنـــه يمزح أو يتظاهر بالضَّعف .

ضحك الدكتور (حجازى) ، وقال :

ـ اطمئنى يا بنيَّتى .. إننى أعرف (نور) جيِّدًا .. فبرغم المحنة التى يمرُّ بها ، ما زال ـ فى رأيى ـ أعظم رجل شرطة أنجبته مصر ، وإن ما يدور فى قلبه الآن لا يعدُو مجرَّد نار باردة ، سيمحوها فجر قريب بإذن الله .

* * *

* تمت بحمد الله *